الفصل الثامن

اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ

أسس العقيدة الإسلامية

• إثبات الرسالة :

إن أشق مرحلة يصادفها كل رسول من الرسل . إنما هى إقناع الناس برسالته ، وقد اختلفت وسائل هذا الإقناع ، واختلفت أساليبه ، وقد بدأ الرسول ، صلى الله عليه وسلم ، كأسلافه ، بتقرير أنه رسول ، وأنه متصل بالسماء : وأن الوحى ينزل عليه تباعاً .

وقد أرسله الله تعالى ، لحكمة سامية قد رددها القرآن فى غير ما موضع : هى تزكية النفوس وتطهيرها ، وتزكيتها وتطهيرها خلقيًّا ، واجتماعيًّا ، مؤسساً ذلك على تطهيرها وتزكيتها من ناحية العقيدة .

« لَقَدْ مَنَّ اللهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ »[1] .

« رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ »[2] .

---

(١) سورة آل عمران آية : ١٦٤ .

(٢) سورة البقرة آية : ١٢٩ .

ومن أجل ذلك كان إرساله رحمة للعالمين :

« وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ » .

ولكن العرب سخروا من دعوته ، وكان لا بد من أن يفحمهم بآية من آيات الله ، فلم تخرج هذه الآية عن أن تكون القرآن .

لقد تحداهم به فى عنف ، وتحداهم - متدرجًا بهم - من أن يأتوا بمثله ، ولو كان بعضهم لبعض ظَهِيرًا .

إلى أن يأتوا بعشر سور مثله ، ثم انتهى بهم أخيراً إلى أن يأتوا بسورة من مثله . قال تعالى :

« قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا » الإسراء(٨٨) .

« أَمْ يَقُولُونَ : افْتَرَاهُ ؟ قُلْ : فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ ، وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ » هود(١٣) .

« وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا ، فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ ، وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ، فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ ، أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ » البقرة(٢٣،٢٤)(١)

---

(١) فى هذه الآيات كرر القرآن لفظ : (مثل) والمثلية لا تختص بجانب دون جانب ، وإنما تعم جميع المناحى . والواقع أن النقاش فى أن القرآن : معجز بأسلوبه أو بمعانيه ، أو بقصصه ، أو بأخباره عن المغيبات أو بغير ذلك من وجوه ، إنما هو : نقاش لا يتمشى مع الفكرة القرآنية ، التى هى فى التماثل من جميع النواحى .

قال صاحب البحر المحيط : والمثلية فى حسن النظم ، وبديع الوصف ، وغرابة الأسلوب ، والإخبار بالغيب . مما كان وما يكون . وما احتوى عليه . من الأمر والنهى ، والوعد والوعيد ، والقصص . والحكم والمواعظ والأمثال ، والصدق والأمن من التحريف والتبديل (جـ ١ ص ١٠٤ ١٠٥) ، ومنشأ الاختلاف ، فى تحديد وجوه الإعجاز فى القرآن : راجع إلى اختلاف درجة الاستعدادات الفطرية ، والاتجاهات الفكرية ، لإدراكها ومعرفتها . فمثلاً ، من وجد القرآن مصدقاً لما بين يديه =

ولم الشك فى أمر الرسول ، صلى الله عليه وسلم ، مع أنه لو أخبرهم : أن خيلا وراء الوادى ستغير عليهم لصدقوه لأنهم لم يعهدوا فيه كذباً ؟ ..

على أنه قد لبث فيهم من قبل أربعين عاماً ، فلم يحدث بنبوة ولا برسالة : ذلك أن هذا الأمر إنما يرجع إلى مشيئة الله فحسب .

« قُلْ لَوْ شَاءَ اللهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلَا أَدْرَاكُمْ بِهِ ، فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمراً مِنْ قَبْلِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ؟ » يونس (١٦) .

ويطلب إليهم القرآن ، أن يتفكروا فى أمر صاحبهم هذا الذى نشأ بينهم ، وترعرع على مرأى ومسمع منهم ، بل كانوا يعرفونه كما يعرفون أبناءهم : بالصدق ، والأمانة ، ورجاحة العقل . قال تعالى :

« قُلْ : إِنَّما أَعِظُكُمْ بِوَاحِدَةٍ : أَنْ تَقُومُوا لِلهِ مَثْنَى وَفُرَادَى ، ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا ، مَا بِصاحِبِكُمْ مِنْ جِنَّةٍ ، إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَىْ عَذابٍ شَدِيدٍ(١) » سبأ(٤٦) .

= من التوراة ، والإنجيل ، وأخبار السابقين ، والغيبيات التى لا تحيط بها البشرية علماً ، حصر وجوه الإعجاز فيما أدرك .

ومن نظر إلى القرآن من ناحية اللفظ ، وحسن السبك ، وجزالة الأسلوب وما له من روعة تملك على السامع شعوره ووجدانه ، حصر الإعجاز فى ذلك . ومن أجال فكره فيما حواه القرآن . من الأسرار الكونية التى تكشف عنها العلوم والبحوث أياً كانت . فهو مصدق لما فى الطبيعة ، والفطر . « سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم » .

(١) والمعنى على ما ورد فى الزمخشرى « ملخصاً » .

متفرقين اثنين ، وواحداً واحداً « ثم تفكروا » فى أمر محمد ، صلى الله عليه وسلم ، وما جاء به .

أما الاثنان . فيتفكران ويعرض كل واحد منهما محصول فكره على صاحبه وينظران فيه متصادقين .

لا يميل بهما اتباع هوى ، ولا ينبض لهما عرق عصبية ، حتى لا يهجم بهما الفكر الصالح والنظر الصحيح على جادة الحق وسننه .

إنما أعظم بواحدة ، إن فعلتموها أصبتم الحق وتحصنتم ، وهى أن تقوموا لوجه الله خالصاً وكذلك =

ولم الشك فى أمره مع أنه قد تجرد من كل مطمح دنيوى :

« قُلْ : مَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ إِنْ أَجْرِى إِلاَّ عَلَى اللهِ ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ » .

ولم التشكك فى أمره وهو أمى لا يقرأ ولا يكتب ؟ ومن كانت حاله هذه لا يمكنه أن يستمد ما يقول من كتاب .

قال تعالى :

« وَمَا كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتابٍ وَلا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ ، إِذَنْ لارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ » العنكبوت(٤٨).

هذه الظروف ، وهذه الملابسات ، فضلا عن القرآن ، ترشد إلى أن محمداً ، صلى الله عليه وسلم ، كان صادقاً فى دعواه .

٥ معارضة العرب :

بيد أن العرب تغالوا فى المعارضة ، حتى لقد وصلوا أحياناً ، إلى حد السخف ، ولكن القرآن كان لهم بالمرصاد ، وكان دائما يفحمهم فى قوة .

لقد قالوا : « مَا لِهَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ ، وَيَمْشِى فِى الأَسْوَاقِ » ؟ فرد الله عليهم بما يقطع حجتهم :

= الفرد : يفكر فى نفسه بعدل ونصفة ، من غير أن يكابرها ، ويعرض فكره على عقله وذهنه بما استقر عنده .

من عادات العقلاء ومجارى أحوالهم .

والذى أوجب تفرقهم مثنى وفرادى : أن الاجتماع مما يشوش الخواطر ويمنع من الرؤية ، ومع ذلك يقل الإنصاف ، ويكثر الاعتساف . وقد علمتم أن محمداً صلى الله عليه وسلم : ما به من جنة ، بل علمتموه : أرجح قريش عقلا ، وأصلبهم رأياً ، وأصدقهم قولا ، وأنزههم نفساً ، فكان مظنة لأن تطلبوا به الخير . وإذا فعلتم ذلك كفاكم أن تطالبوه بأن يأتيكم بآية .

« وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلاَّ إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ ، وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ » .

وقالَ : « وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلاً مِنْ قَبْلِكَ ، وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجاً وَذُرِّيَّةً » .

« وَقَالُوا : لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ؟ فرد عليهم القرآن فى أسلوب لاذع : « أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَةَ رَبِّكَ » .

ولم يجد اليهود ولا النصارى مفرًّا من الاعتراف ، بأن الرسل السابقين كانوا حقًّا كذلك .

وقال العرب :

« لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً واحِدَةً ؟ » .

فإذا بالقرآن يعلل ذلك تعليلا فى غاية القوة والوضوح :

« كَذَلِكَ ، لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ ورَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلاً » (١) .

ورأوا ، أن يكون الرسول ملكاً ، فإذا بالقرآن يجيبهم فى منطق صارم :

---

(١) وهذا أيضاً من اعتراضاتهم ، واقتراحاتهم الدالة على شرادهم عن الحق ، وتجافيهم عن اتباعه ، قالوا : هلا نزل عليه دفعة واحدة ، فى وقت واحد ، كما نزلت الكتب الثلاثة ؟ وما له أنزل على التفاريق ؟

والقائلون قريش ، وقيل اليهود .

وهذا فضول من القول ، ومُماراة بما لا طائل تحته : لأن أمر الإعجاز والاحتجاج به : كان يختلف بنزوله جملة واحدة أو مفرقاً ، وقوله تعالى : « كذلك لنثبت به فؤادك » . « جواب هم » . أى كذلك أنزل مفرقاً .

والحكمة فيه : أن نقوى ، بتفريقه ، فؤادك حتى تعيه وتحفظه ، لأن المتلقن : إنما يقوى قلبه على حفظ العلم شيئاً بعد شىء وجزءاً عقب جزء . ولو ألقى عليه جملة واحدة لبعل به وتعيا بحفظه .

والرسول ، صلى الله عليه وسلم : فارقت حاله حال موسى وداود وعيسى عليهم السلام حيث كان أمياً : لا يقرأ ولا يكتب ، وهم كانوا قارئين كاتبين ، فلم يكن له بد من من التلقن والحفظ ، فأنزل عليه منجماً فى عشرين سنة ، وقيل فى ثلاث وعشرين . وأيضاً فكان ينزل على حسب الحوادث وجوابات السائلين . : « عن الزمخشرى جـ ٢ ص ١٠٩ »

« وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَجَعَلْنَاهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِمْ مَا يَلْبِسُونَ » .

ويذكر ذلك فى موضع آخر مصورا تعنتهم فى إنكار النبوة فيقول :
« وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَى ، إِلا أَنْ قَالُوا ، أَبَعَثَ اللهُ بَشَرًا رَسُولاً » ؟

ويرد عليهم القرآن معللا الأمر بتعليل آخر غير السابق فيقول :
« قُلْ : لَوْ كَانَ فِى الْأَرْضِ مَلائِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ مَلَكًا رَسُولا » .

وهذا التعليل فى غاية العمق . فإنه ينطوى على سبب من أهم أسباب إرسال الرسل . فالملائكة ليسوا بطبيعتهم – فى حاجة إلى من يهديهم من الناحية الأخلاقية : إنهم ملائكة .

ويتعمد القرآن أن يصفهم بأنهم « يمشون مطمئنين » فيثبت بذلك توضيح طبيعتهم الملائكية فى أذهاننا ، ومع ذلك يقول ؟
« لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ مَلَكًا رَسُولا » .

لم ؟ .. إنهم ملائكة . وهم يمشون مطمئنين فما حاجتهم إلى الرسالة ؟

الواقع أن مهمة الرسول الأولى ليست الأخلاق ، وإنما هى معرفة الله والملأ الأعلى وما وراء الطبيعة ، وذلك لا يتأتى فى صحة لا يشوبها خطأ بمنطق عقلى أو قياس نظرى ، وإنما يتأتى عن الله بواسطة سفرائه إلى عباده ، وهم الرسل .

والملائكة كالبشر : عاجزون عن معرفة الله إلا به . ولقد قالوا ، كما حكى القرآن عنهم فى سورة البقرة : ٣٢ : « سُبْحَانَكَ لا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا » .

أما الأخلاق فإنها فى المرتبة الثانية بعد معرفة الله .

وأرجفوا : بأن محمداً ، صلى الله عليه وسلم ، يستمد القرآن من شخص معين ، فرد عليهم القرآن فى قوة :

« لِسانُ الَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجمِىٌّ ، وهَذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُبِينٌ » .

ولما استيأس العرب من الجدل المنطق تقمصوا عقلية الصبيان :

« وَقَالُوا : لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعاً . أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الْأَنْهارَ خِلالَها تَفْجِيرًا . أَوْ تُسْقِطَ السَّماءَ – كَمَا زَعَمْتَ – عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِىَ بِاللهِ وَالْمَلائِكَةِ قَبِيلا ، أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِنْ زُخْرُفٍ ، أَوْ تَرْقَى فِى السَّماءِ ، ولَنْ نُؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّى تُنَزِّلَ عَلَيْنا كِتاباً نَقْرَؤُهُ » .

فيجيبهم القرآن فى سهولة قوية ، لاذعة ، جادة ساخرة :

« قُلْ : سُبْحانَ رَبِّى ! هَلْ كُنْتُ إِلاَّ بَشَراً رَسُولا ؟ »

ويثور العرب ، حينما يرون منطقهم ينهار فينادون :

« يا أَيُّها الَّذِى نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ ، إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ . لَوْ مَا تَأْتِينَا بِالْملائِكَةِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ؟ »

ويرد عليهم القرآن مبيناً لهم ما قد خفى عنهم .

« ما نُنَزِّلُ الْملائِكَةَ إِلَّا بِالْحَقِّ وَما كَانُوا إِذَنْ مُنْظَرِينَ » .

ويصور القرآن فى النهاية موقفهم الحقيقى الذى لا يخرج عن أن يكون عناداً لا شائبة فيه لطلب الحق ولا للرغبة فى الهدى فيقول :

« وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ باباً مِنَ السَّماءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ ، لَقَالُوا إِنَّما سُكِّرَتْ أَبْصارُنا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَسْحُورُونَ » [1] .

« وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتاباً فِى قِرْطاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقالَ الَّذِينَ كَفَرُوا

(١) سورة الحجر – آيتا : ١٤ ، ١٥ .

إِنْ هَذَا إِلاَّ سِحْرٌ مُبِينٌ » .

فلما أخذتهم الحجة من جميع أقطارهم ، ورأوا أنهم أضعف من أن يغلبوا بالمنطق ، أعرضوا وقالوا :

« قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ ، وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ ، وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ ، فَاعْمَلْ إِنَّنَا عَامِلُونَ »[1] .

فيذكرهم القرآن بموقف الأمم قبلهم ، وينذرهم بعذاب : كما هى سنته مع هذا النوع من المعاندين :

« فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ : أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ » .

حقًّا لقد كانت خصومة العرب للرسول ، صلى الله عليه وسلم ، عنيفة ، قوية ، ولقد صورها القرآن فى قوتها وفى عنفها ، ولم يأب أن يذكر ما فاهت به العرب مما يسىء الرسول ، فذكر وصفهم له بالجنون ، وبالشعر ، وإنه ساحر أو مسحور ، وبأنه ليس من عظماء القريتين[2] ، وبأنه يأخذ القرآن من غيره ، أو بأن القرآن ليس إلا سحراً ، أو أساطير الأولين اكتتبها ، فهى تملى عليه بكرة وأصيلا .

ذكر القرآن كل ذلك ، وصور الخصومة فى عنفوانها عارضاً أدلة الجاحدين ، ذلك أن القرآن هداية الله ، وهدايته ، سبحانه وتعالى : هى الحق الذى يقذف على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق .

* وجود الله :

لقد كان من الطبيعى بعد أن ثبتت النبوة أن يتلقى العرب كل ما جاء

---

(١) فصلت - آية : ٥ .

(٢) مكة والطائف .

فى القرآن بالقبول ولكن القرآن لم يكن يلقى القول على علاته ، وإنما يأتى بالقضية مبرهناً عليها بالدليل تلو الدليل ، فيرضى العقل ويطمئن النفس ، ويقود الضمير إلى الإذعان ، وبرغم أن وجود الله أوضح من أن يبرهن عليه فقد وجد فى كل الأزمنة من جحدوا كذلك بنفسه ، وبلا صانع ، ولم يزل الحيوان من النطفة ، والنطفة من الحيوان ، كذلك كان وكذلك يكون أبدا [1] .

وما من شك فى أن مسألة إثبات وجود الله لم تكن فى يوم من الأيام هدفاً من أهداف القرآن ، ولم تكن فى يوم من الأيام هدفًا من أهداف الرسول ، صلى الله عليه وسلم ، أو أحد أصحابه وذلك ، أن الإيمان بوجود الله مسألة فطرية وبدهية .

ونحن هنا نسير على أنه يمكن أن يؤخذ من القرآن أدلة على وجود الله وإن لم يكن ذلك هدفاً من الأهداف القرآنية ، وإذا نسقنا الأدلة أو نظمناها فإنما يرجع ذلك إلى استنتاج من نصوص هدفها الصحيح بيان عظمة الله وتدبيره وقدرته وهيمنته على كل ما فى العالم من صغيرة وكبيرة وبيان عناية الله ورعايته وإحكامه المحكم وإبداعه المتقن لكل ما يسرى فى العالم من قوانين ونواميس .

إن القرآن يمكن أن يُؤخذ منه الرد على من انحرفت فطرتهم فيقال : إنه يرد عليهم أولا بضروريات فكرية ، فيثبت الدلالة الضرورية من الخلق على الخالق :

« أَفِي اللهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ؟ »

« وَمِنْ آياتِهِ : أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرابٍ » .

« وَمِنْ آياتِهِ خَلْقُ السَّمَواتِ وَالْأَرْضِ » .

---

(١) الغزالى : المنقذ من الضلال طبعة مكتبة الأنجلو المصرية .

ويؤكد هذا بمبادئ مقررة ، يعترف بها كل إنسان ، عندما يفكر فيها تفكيرا بسيطا : إنه من البين أن الشيء لا يمكن أن يوجد بدون علة ولا يمكن من جانب آخر أن يكون علة صياغة : نفسه : « أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ » .. ؟

ولا يقتصر القرآن على ذلك : بل ورد فى غير ما موضع ، وفى غير ما سورة ذلك الدليل الذى يطلق عليه أحياناً ، دليل العناية ، وأحياناً أخرى ، دليل النظام أو القصد أو التدبير ، أو الغائية ، وهذا الدليل هو الذى يستند إلى ما تراه فى العالم من تناسق ، وتضامن ، وانسجام ، ومن تدبير محكم ، وعناية تامة بكل صغيرة وكبيرة ، وترابط لا انفصام له بين أجزاء العالم وأجزاء وحداته أيضاً .

وقد استخدم القدماء هذا الدليل ، ولا يزال المحدثون يستخدمونه ، ويعتبره بعضهم أوضح الأدلة على وجود الله ، بل وأقواها ، وهو فى الوقت نفسه ، أسهلها بالنسبة للإدراك الإنسانى .

قال الله تعالى :

« وَأَلْقَى فِى الْأَرْضِ رَوَاسِىَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ » .

« اللهُ الَّذِى سَخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ » .

« هُوَ الَّذِى خَلَقَ لَكُمْ مَا فِى الْأَرْضِ جَمِيعاً » .

« وَهُوَ الَّذِى يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِ » .

« وَاللهُ جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ بِسَاطاً » .

« أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا ، وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا . وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجاً . وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتاً . وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاساً . وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشاً . وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعاً شِدَاداً . وَجَعَلْنَا سِرَاجاً وَهَّاجاً ، وَأَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجاً ، لِنُخْرِجَ

بِهِ حَبًّا وَنَبَاتاً ، وَجَنَّاتٍ أَلْفَافاً ؟ » .

وإذا تصفحت القرآن تبينت مصداق قوله تعالى :

« وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللهِ لا تُحْصُوها » .

وكثيراً من آى القرآن مايجمع بين دليل الخلق ودليل العناية :

« إنَّ فِى خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ واخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهارِ ، وَالْفُلْكِ الَّتِى تَجْرِى فِى الْبَحْرِ بِما يَنْفَعُ النَّاسَ ، وما أَنزَلَ اللهُ مِنَ السَّماء مِنْ ماءٍ فَأَحْيا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِها وبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دابَّةٍ ، وَتَصْرِيفِ الرِّياحِ والسَّحابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّماءِ وَالْأَرْضِ لَآياتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ »(١) .

وتوجد آيات متتالية فى سورة الروم ، تجمع بين الدليلين - الخلق والعناية – وهى قوله تعالى :

« يُخْرِجُ الْحَىَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَىِّ وَيُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِها وَكَذَلِكَ تُخْرَجُونَ . وَمِنْ آياتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرابٍ ثُمَّ إذا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ . وَمِنْ آياتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْواجاً لِتَسْكُنُوا إِلَيْها وجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً ورحْمَةً إنَّ فِى ذَلِكَ لَآياتٍ لِقَوْمٍ يتفكَّرونَ . وَمِنْ آياته خَلْقُ السَّمواتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ ، إنَّ فِى ذَلِكَ لَآياتٍ لِلْعَالِمينَ . وَمِنْ آياتِهِ مَنامُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَابْتِغاؤُكُمْ مِنْ فَضْلِهِ ، إِنَّ فِى ذَلِكَ لَآياتٍ لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ . وَمِنْ آياتِهِ يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفاً وطَمَعاً وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّماء ماءً فَيُحْيِي بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِها إِنَّ فِى ذَلِكَ لَآياتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُون . وَمِنَ آياتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّماءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ ، ثُمَّ إِذا دَعاكُمْ دَعْوَةً مِنَ الْأَرْضِ إِذا أَنْتُمْ تَخْرُجُونَ »(٢) .

هذه الأدلة تكاد تتضمن كل ماعداها من أدلة ، قديمة كانت أو حديثة

---

(١) سورة البقرة – آية : ١٦٤ .

(٢) سورة الروم – الآيات : ١٩ – ٢٥ .

برغم اختلاف أساليب التعبير ، بحسب اختلاف البيئة أو الزمن :

إنها تتضمنها فى صورتها السهلة : « والأثر يدل على المؤثر » .

وتتضمنها فى صورتها الكلامية ، وكل حادث لابد له من محدث .

وتتضمنها فى صورتها الفلسفية القديمة : الممكن والواجب .

وتتضمنها فى صورتها الفلسفية الحديثة ، سواء رجعنا فيها إلى شعور الوجدان أو فكرة الكمال أوغير ذلك .

* **الوحدانية :**

وإذا كان القرآن لايجعل من أهدافه إثبات وجود الله ، فإنه يجعل من أهدافه الكبرى إثبات التوحيد ، والإسلام هو دين التوحيد ، والله سبحانه وتعالى ، واحد لاشريك له .

ويستدل القرآن بالمشاهدة الصادقة : « لَوْكان فِيهما آلِهَةٌ إلا اللهُ لَفَسَدتا » .

هذه المشاهدة العادية ، تلبس صورة منطقية رائعة ، فلو كان هناك إله غير الله إذن : لذهب كل إله بماخلق ، ولعلا بعضهم على بعض .

على أن القرآن لايكتفى بالمشاهدة وبالمنطق ، وإنما يرجع بالإنسان إلى وجدانه ويثبت الوحدة عن طريق النظام والعناية والتدبير ، فيقول فى آيات رائعة :

« قُلِ الْحَمْدُ لِلهِ وَسَلامٌ عَلَى عِبادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى ، آللهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ . أَمَّنْ خَلَقَ السَّمواتِ وَالأَرْضَ ، وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّماءِ ماءً فَأَنْبَتْنا بِهِ حَدائِقَ ذاتَ بَهْجَةٍ ما كانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا ؟ أَإِلـهٌ مَعَ اللهِ ؟ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ ؟ أَمَّنْ جَعَلَ الأَرْضَ قَراراً ، وَجَعَلَ خِلالَها أَنْهاراً ، وَجَعَلَ لَها رَواسِيَ ، وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حاجِزاً ؟ أَإِلـهٌ مَعَ اللهِ ؟ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْلَمُونَ ؟ . أَمَّنْ يُجِيبُ

الْمُضْطَرَّ إِذا دَعاهُ ؟ وَيَكْشِفُ السُّوءَ ، وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفاءَ الْأَرْضِ ؟ أَ إِلٰهٌ مَعَ اللهِ ؟ قَلِيلاً مَا تَذَكَّرُونَ . أَمَّنْ يَهْدِيكُمْ فِى ظُلُماتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ ، وَمَنْ يُرْسِلُ الرِّياحَ بُشْراً بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِ ؟ أَ إِلٰهٌ مَعَ اللهِ ؟ تَعَالَى اللهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ » .

« أَمَّنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ؟ وَمَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّماءِ وَالْأَرْضِ ؟ أَ إِلٰهٌ مَعَ اللهِ ؟ قُلْ هاتُوا بُرْهانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ »(١) .

* العلم :

والله سبحانه وتعالى عالم : إنه عالم الغيب والشهادة .

« اللهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَى ، وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحامُ وَمَا تَزْدادُ ، وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدارٍ . عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعالِ . سَوَاءٌ مِنْكُمْ مَنْ أَسَرَّ الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسارِبٌ بِالنَّهارِ »(٢) .

والله تعالى لا يعلم الماضى والحاضر فحسب ، ولكنه يعلم المستقبل أيضاً :

« مَا أَصابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِى الْأَرْضِ ، وَلَا فِى أَنْفُسِكُمْ إِلاَّ فِى كِتابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا ، إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللهِ يَسِيرٌ »(٣) .

وهو يسخر ممن جعلوا لله شركاء ، ويسألهم فى سخرية وإنكار :

« وَجَعَلُوا للهِ شُرَكاءَ ، قُلْ : سَمُّوهُمْ ، أَمْ تُنَبِّئُونَهُ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى الْأَرْضِ أَمْ بِظَاهِرٍ مِنَ الْقَوْلِ ؟ »(٤) .

وفى القرآن آية يرى بعضهم ، أنها تشير إلى العقل الباطن أو اللاشعور :

(١) سورة النمل - الآيات: ٥٩ - ٦٤ .
(٢) سورة الرعد - الآيات : ٨ - ١٠ .
(٣) سورة الحديد - آية : ٢٢ .
(٤) سورة الرعد - آية : ٣٣ .

« وإن تَجْهَرْ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى »[١] .

والقرآن يرشد إلى أن علمه ليس مقصوراً على ذاته كما يرى أرسطو ، وليس مقصوراً على الذات والكليات والجزئيات جميعها على الوجه التام :

« يَعْلَمُ ما يَلِجُ فِي الأَرْضِ ، وَمَا يَخْرُجُ مِنْها ، وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّماءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيها ، وَهُوَ الرَّحِيمُ الْغَفُورُ. وَقَالَ الذِينَ كفَرُوا لاتَأْتِينَا السَّاعَةُ قُلْ : بَلَى وَرَبِّى لَتَأْتِيَنَّكُمْ عالِمِ الْغَيْبِ ، لايَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقالُ ذَرَّةٍ فِى السَّمَواتِ وَلَا فِى الأَرْضِ وَلَاأَصْغَرُ مِنْ ذَلِكَ وَلاَ أَكبَرُ إلاَّ فِى كِتابٍ مُبِين »[٢] .

« وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لا يَعْلَمُها إلاَّ هُوَ ، وَيَعْلَمُ مَا فى الْبَرِّ وَالْبَحْرِ ، وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إلاَّ يَعْلَمُها ، وَلاَ حَبَّةٍ فِى ظُلُمَاتِ الأَرْضِ وَلارَطْبٍ وَلايَابِسٍ إلاَّ فى كِتابٍ مُبِينٍ . وَهُوَ الذِى يَتَوَفَّاكُمْ بِاللَّيْلِ ، وَيَعْلَمُ مَاجَرَحْتُمْ بالنَّهار ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَى أَجَلٌ مُسَمًّى ، ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ، ثُمَّ يُنَبِّئُكُمْ بِما كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ »[٣] .

أما دليل القرآن على علم الله ، فهو فى غاية الوضوح والقوة :

« أَلا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ » .

٥ مظاهر صفاته :

الله عالم وهو مريد ، وقادر ، وحكيم ، ومن مظاهر صفاته هذه ، المتضامنة هذا الكون وما حواه من بديع صنعته ، والقرآن يتحدث فى استفاضة عن مظاهر هذه الصفات فى كثير من السور ، بل لا تكاد تخلو سورة

---

(١) سورة طه - آية : ٧ .

(٢) سورة سبأ - آيتا : ٢ ، ٣ .

(٣) سورة الأنعام - آيتا : ٥٩ ، ٦٠ .

من هذه المظاهر كلها أو بعضها .

وَإليك نموذجاً يحدثك بذلك .

« اللهُ الَّذى رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ ، وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُسَمًّى ، يُدَبِّرُ الْأَمْرَ ، يُفَصِّلُ الآيَاتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ . إلى قوله تعالى : لِلَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمُ الْحُسْنَى »(١) .

• البعث :

الله سبحانه وتعالى خالق ، وهو واحد ، مريد ، عالم ، قادر .. إلخ .

وهو أيضاً باعث ، ومسألة البعث ، مسألة أنكرها قوم يطلق عليهم الإمام الغزالى : الطبيعيون ، وهم قوم أنكروا البعث مع اعترافهم بالصانع .

لقد اعترفوا بالصانع لما رأوه فى عجائب الطبيعة من تناسق محكم لا يمكن أن يكون وليد المصادفة ، ولكنهم رأوا أن النفس تابعة للبدن ، ولذلك تفنى بفنائه ، وكانت نتيجة ذلك أن جحدوا الآخرة ، وأنكروا الجنة والنار والحساب .

على هؤلاء وأضرابهم ، على اختلاف بيئاتهم وأساليبهم يرد القرآن فى غير ما موضع .

وطبيعيو العرب لم يكن عندهم فى هذه المسألة منطق جدلى فلسفى وليس لهم من دليل سوى الإنكار والاستبعاد :

« وَقَالُوا : أَإِذَا كُنَّا عِظَاماً وَرُفَاتاً أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقاً جَدِيداً »(٢) .

---

(١) سورة الرعد – الآيات : ٢ – ١٧ .

(٢) سورة الإسراء – آية : ٤٩ .

« قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ »(١).

والقرآن يرد عليهم بتذكيرهم بمظاهر قدرة الله السائدة فى الكون ، وبأنه ليس من العدالة الإلهية أن يترك الإنسان سدى فلا يجازى على ما قدم :

« أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى . ؟ أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِنْ مَنِيٍّ يُمْنَى ؟ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّى . فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى ، أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى ؟ » .

وفى القرآن كثير من الآيات ترد عليهم مستندة إلى مظاهر قدرة الله وعدالته . وفيه آيات متتالية فى آخر سورة يس تحدثت عن رأى منكرى البعث . ثم ردت عليهم ردوداً متنوعة مختلفة واضحة قوية ، ونحن نذكر هذه الآيات ، ونذكر تفسير الكندى لها نقلا عن كتاب الكندى للأستاذ أبى ريدة :

« قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ ؟ » .

قُلْ : يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ .

الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَاراً فَإِذَا أَنْتُمْ مِنْهُ تُوقِدُونَ . أَوَ لَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ ؟ بَلَى ، وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ . إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئاً أَنْ يَقُولَ لَهُ : كُنْ فَيَكُونُ . فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ » .(٢)

ويقول الأستاذ أبو ريدة ، عن تفسير الكندى لهذه الآيات :

إن « فيه يبرز فيلسوفنا الأصول النظرية التى تتضمنها هذه الآيات من جهة ، ويستخرج النتائج التى تلزم عنها من جهة أخرى ، وهى :

---

(١) سورة يس آية : ٧٩ .

(٢) سورة يس - الآيات : ٧٨ - ٨٣ .

١ – وجود الشيء من جديد ، بعد كونه وتحلله السابقين : ممكن . بدليل مشاهدة وجوده بالفعل مرة ، لا سيما أن جمع المتفرق أسهل من إيجاده وإبداعه عن عدم ، وإن كان لا يوجد بالنسبة لله شيء هو أسهل وشيء هو أصعب – هذا الدليل موجود فى الآيات فى كلمات قليلة :

« قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِى أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ » .

٢ – ظهور الشيء من نقيضه ، كظهور النار من الشجر الأخضر ممكن وواقع تحت الحس . وإذن يمكن أن تدب الحياة فى الجسد المتحلل الهامد مرة أخرى .

وذلك أيضاً على أساس المبدأ الأكبر ، وهو :

أن الشيء يمكن أن يوجد من العدم المطلق بفعل المبدع الحق – هذا الدليل موجود فى آية :

« الَّذِى جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ ناراً ، فَإِذَا أَنْتُمْ مِنْهُ تُوقِدُونَ » .

وقد انتفع به الأشعرى فى إثبات إمكان البعث .

٣ – خلق الإنسان أو إحياؤه بعد الموت ، أيسر من خلق العالم الأكبر بعد أن لم يكن ، وهذا هو مضمون آية :

« أَوَ لَيْسَ الَّذِى خَلَقَ السَّمَواتِ وَالْأَرْضَ بِقادِرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ ! ؟ بَلَى وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ » .

٤ – الخلق ، والفعل مطلقاً مهما عظم المخلوق ، لا يحتاج من جانب الله المبدع لا إلى مادة ولا إلى زمان ، خلافاً لفعل البشر الذى لا يتم إلا فى زمان ، ويحتاج إلى مادة تكون موضوع الفعل ، وهذا هو معنى آية :

« إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذا أَرادَ شَيْئاً أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ » .

وهذه الآية ، فى رأى الكندى ، إجابة عما فى قلوب الكفار من النكير

بسبب ظنهم أن الفعل الإلهى المتجلى فى خلق العالم الكبير يحتاج إلى زمان يناسب عظمته ، قياساً منهم لفعل الله على فعل البشر .

لأن فعل البشر لما هو أعظم يحتاج إلى مدة زمانية أطول ، فجاءت الآية حاسمة فى بيان نوع الفعل الإلهى ، وأنه إبداع بالإرادة الخالقة والقدرة المطلقة ، لا يحتاج إلى مادة ولا إلى امتداد زمنى .

« فأى بشر - كما يقول الكندى - يقدر بفلسفة البشر أن يجمع فى قول بقدر حروف هذه الآيات ، ما جمع الله ، جل وتعالى ، إلى رسوله ، صلى الله عليه وسلم ، فيها من إيضاح ، أن العظام تحيا بعد أن تصير رميماً ؟ وأن قدرته تخلق مثل السموات والأرض ؟ وأن الشيء يكون نقيضه ! ! كلت عن ذلك الألسن المنطقية المتحايلة ، وقصرت عن مثله نهايات البشر ، وحجبت عنه العقول الجزئية » اهـ .

على أننا لا نترك موضوع البعث دون أن نوجه ذهن القارئ إلى هذا التنظير البديع الذى ذكره القرآن الكريم ، بين الأرض الموات التى يحييها الله فتنبت من كل زوج بهيج ، والعظام والرفات التى يحييها الله ويصورها فيحسن تصويرها :

« يـٰأَيُّها النَّاسُ إنْ كُنْتُمْ فِى رَيْبٍ مِنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرابٍ ، ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ، ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ، ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِنُبَيِّنَ لَكُمْ ، وَنُقِرُّ فِى الْأَرْحامِ مَا نَشاءُ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى ، ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ، ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى ، وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ ، لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا ، وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً ، فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ ، وَرَبَتْ ، وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ .. ذلِكَ بِأَنَّ اللهَ هُوَ الْحَقُّ ، وَأَنَّهُ

يُحْيِي الْمَوْتَى ، وَأَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ . وأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لا رَيْبَ فِيها ، وَأَنَّ اللهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ » .

• مشاهد القيامة :

ويسبق البعث ويعقبه أمور تحدث عنها القرآن فى كثير من الآيات ووصفها فى روعة أخاذة :

إنها تصف يوم القيامة ، وتتحدث عن الحساب والميزان ، وتصف حالة المؤمنين والكافرين ، وتصور النار فى صورتها البشعة الكريهة والجنة فى روحها وريحانها وصورها ورياضها الفيحاء ، وسنكتفى من كل ذلك بآيات من آخر سورة الزمر :

يقول الله تعالى :

« وَمَا قَدَرُوا اللهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعاً قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيامَةِ وَالسَّمَواتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ ، سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ . وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَواتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللهُ ، ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذا هُمْ قِيامٌ يَنْظُرُونَ . وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّها وَوُضِعَ الْكِتابُ ، وَجِيءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَداءِ ، وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ . وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِما يَفْعَلُونَ . وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ زُمَراً ، حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوابُها وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُها : أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آياتِ رَبِّكُمْ وَيُنْذِرُونَكُمْ لِقاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا ؟ قَالُوا : بَلَى . وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذابِ عَلَى الْكافِرِينَ . قِيلَ : ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا ، فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ . وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَراً ، حَتَّى إِذا جَاءُوها وَفُتِحَتْ أَبْوابُها وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُها : سَلامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوها خَالِدِينَ . وَقَالُوا :

الْحَمْدُ للهِ الَّذِى صَدَقَنَا وَعْدَهُ ، وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشاءُ ، فَنِعْمَ أَجْرُ العامِلِينَ . وَتَرَى الْمَلائِكَةَ حَافِّينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ ، وَقُضِىَ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ »(١).

---

(١) سورة الزمر – الآيات : ٦٧ – ٧٥ .